الشعب الفلسطيني وترسيخ الاستيطان الصهيوني وتحقيق بعض المكاسب الجغرافية لهذا الحاكم العربي أو ذاك . أو انها تآمرات بين بعض المسؤولين عن تسليح الجيوش العربية ورؤسائهم جريا وراء المنفعة المادية والشخصية مما أدى الى استيراد كميات فاسدة من السلاح لولا فسادها لانتصرت هذه الجيوش العربية . ولا نقول بأن كل التصورات التآمرية في نفس المستوى او تلتزم بهوية المتآمرين . فالشيوعيون آنذاك ، الذين ارتبطوا « بعصبة التحرر الوطني » ربطوا بين التآمر الاستعماري العربي — الصهيوني وبين النظم الاجتماعية الا أن تركيزهم في التحليل كان منصبا على التآمر المصلحي بين فئات وقوى عربية وصهيونية وامبريالية بينما ركز غيرهم من المسيسين غير الملتزمين بخط فكري معين على تآمرات ومتآمرين آخرين .

ومجمل الفكر التآمري يعزو الفشل العربي والنصر الصهيوني الى التآمر وبالتالي يطالب بتنحية المتآمرين والتخلص منهم بأي شكل من الاشكال دون أن يكلف نفسه الجهد والعناء بالبحث عن عوامل أخرى . وكان هناك القصور التكنولوجي المحدود الذي عزا الانتصار الى الامساك بالاسلحة الحديثة وحيازة أنواع معينة من هذا السلاح كالطائرات والمدافع ذات حجم معين ، والمدرعات ، وما شابه ، وان حيازة الصهيونية لهذه الاسلحة وعدم توفرها لدى الفلسطينيين والدول العربية أدى الى ترجيح كفة الصهيونية وانتصارها . ومن هذا المنطلق ، اتجه أنصار التكنولوجية الحديثة المحدودة الى الدعوة والتبشير بضرورة تكديسها ، وان هذا التكديس سيؤدي الى رجحان الكفة العربية مستقبلا .

وكل هذه التصورات افترضت بدرجات متفاوتة في الصراحة والالتزام بضرورة التعاون والتنسيق ان لم يكن التوحيد العربي ، وان المجابهة الحقيقية لقوى العدوان الصهيونية تتطلب حشد الطاقات العربية عن طريق هذا التنسيق والتعاون . والاتجاه الوحدوي الحقيقي والايمان بضرورته ميزه الانطلاق الفلسطيني بينما اكتفى معظم من تصدى لمعالجة النكبة من مواطني الدول العربية الاخرى بضرورة التعاون والتنسيق .

ومع احترامنا لوجهات النظر المختلفة الا أننا نستطيع أن نجزم بأن هذه التصورات المختلفة لم تتجاوز ما فكرت به القطاعات الشعبية العديدة ، ولم تتجاوز التفكير الرسمي — ان كان هنالك تفكير ، فكان رد الفعل متجانسا الى أبعد الحدود بين من فكر كثيرا وعبر عن تفكيره وبين من تكلم في مقاهي العرب وحوار الشباب . ولو حاول المجتمع العربي ان يستلهم مفكريه في الطريق الذي يسلكه لطال انتظاره وتفتتت بنياه وضل مسيره .

حتمية العمل للتغلب على النكبة

الا أن الرد الفعلي الحقيقي للنكبة « جاء شعبيا قبل أن يجيء فكريا » ، وما زال الوضع كذلك حتى يومنا هذا ، والفجوة التي تفصل الشعب عن مفكريه تزداد اتساعا بمرور الزمن بدل أن تضيق ، والشعب بمختلف طبقاته وأيا كانت رقعته في هذا المسطح العربي ، شعر بآثار النكبة وانتفض لها قبل ان يسترد المفكرون أقلامهم . فبدأت الممارسات الشعبية السلمية وغيرها تؤدي الى نتائجها المسلكية والتنظيمية وتولد من ضغوطها سلسلة الانقلابات العسكرية التي قامت باسمها ولتحقيق رغباتها في سوريا ومصر ، والقلقلات في الاردن والوثبات في العراق وغيرها من الاقطار العربية . وهذه التغييرات رغم جزئياتها وبعدها عن المطلوب حدوثه ، انما كانت أول رد فعل حقيقي للهزيمة الفلسطينية — العربية . فجاءت سلسلة من الاصلاحات في مختلف القطاعات لتعالج النقص الذي أحس به الشعب ، سواء من حيث تكديس الأسلحة واستمرارية التجييش ، او من حيث بتر العلاقات المستأصلة بين الشعوب العربية ودول الاستعمار والمضي في سياسة استقلالية من شأنها ان تساعد على تحقيق الحلم العربي بالنصر على المستوطن الصهيوني وحلفائه ، ثم انفتاحا على الشعب والتسليم بشرعية ممارسة